

## عين تركيا لا تنام في شرق المتوسط أوهام الإمبراطورية وأطماعها حاضرة في ذهن أردوغان



إبحار تركي محفوف بمخاطر كثيرة

الاقتصادية لوجودها في ليبيا في المستقبل.

ويرى الباحثان أنه "إذا لم يتم العثور على أموال في البحر، فبجانب ربح الأموال على الأراضي الليبية"، ويبدو أن هذا الأمر هو الدافع الرئيسي للتدخل التركي داخل ليبيا بالرغم من أنها تعمل على حماية حكومة الوفاق ودعم جماعات إسلامية متطرفة تعمل وفقاً لأجندتها في المنطقة.

ويذكر الباحثان بأن تركيا حالي 20 مليار دولار من العقود المعلقة مع الدولة الليبية في مشاريع البنية التحتية والهندسة والطاقة، وتم توقيع تلك العقود قبل إسقاط النظام السابق قبل نحو عقد من الزمن، وتنتظر أنقرة إلى الحاجة الماسة لليبية لإعادة الإعمار على أنها فرصتها لتحصيل عدة مليارات من الدولارات من خلال صفقات تجارية بعد تفاقم أزمتها الاقتصادية الداخلية.

كما أن تركيا أبدت في أغسطس من العام الماضي اهتمامها بتحصيل مدفوعات بالعمل الصعبة من حكومة الوفاق من خلال توقيع اتفاقية مع مصرف ليبيا المركزي، وأن هذا الأمر وحده لن يغطي مستحقات تركيا.

وحسب "فورين بوليسي" فإن "القطاع المالي الليبي أصيب منذ سنة 2014 بشلل بسبب الخلل الوظيفي والاقتتال الداخلي، ويكمن آخر أماله المتبقية في الإنقاذ في اقتراح إصلاح الأمم المتحدة الذي قدمه العام الماضي، وأنه لا يمكن لتركيا الاستفادة من الخطة إلا إذا وافقت الفصائل الليبية المتنافسة عليها".

ويعتقد التقرير أن "إصلاح المصرف المركزي قد ينتهي ضد مصالح تركيا"، إضافة إلى خشية أنقرة من أن يعيد حفر فرض حصارها، خاصة أن ليس هناك ما يضمن أن حملة الضغط التي قادتها الولايات المتحدة وروسيا، والتي أنهت الحملة السابقة، ستكون موجودة لإنقاذ الموقف مرة أخرى.

وتختتم المجلة الأميركية تقريرها بالقول إنه "بالنسبة إلى تركيا يعتبر النفط والغاز الطبيعي وسيلة لتحقيق غاية: في ليبيا، يضمن النفط بقا حكومة الوفاق الوطني من خلال تقليل اعتمادها الاقتصادي على الأعداء، وتحتاج أنقرة حلفاء أقياء لتحقيق غاياتها".

لا يتوقع تقرير "فورين بوليسي" أن يلجأ الرئيس التركي إلى اتخاذ قرار باغادرة في الوقت القريب من ليبيا، إضافة إلى أنه "لا يمكن مواصلة الوجود العسكري القوي بتكلفة زهيدة" في ضوء ما قدمه من خدمات لحكومة الوفاق، وما ينتظره من تحقيق غاياته بالحصول والاستحواذ على مصادر الثروة، مع ما يعنيه البلد بالنسبة إلى أردوغان من أطماع سياسية واقتصادية أنية ومستقبلية.

### الكنز الليبي

ترى المجلة الأميركية أن الاتفاقية الموقعة مع ليبيا "لم تكن وسيلة لتركيا لاستخراج الغاز الطبيعي من الساحل الليبي بقدر ما كانت محاولة لتخريب الحدود البحرية الحالية وتعطيل مطالب الدول الأخرى المعترف بها، بما في ذلك قبرص ومصر واليونان".

وتؤكد أن الاتفاقية المثيرة للجدل والانتقادات "تهدد بالأساس إلى إضعاف الشرعية على تطلعات تركيا التوسعية في جوارها المباشر".

ووقعت تركيا وليبيا مذكرة بشأن ترسيم حدود الجرف القاري والمناطق الاقتصادية الخالصة في شرق البحر المتوسط، بالإضافة إلى دعم حكومة الوفاق عسكرياً في مواجهة الجيش الليبي.

وعلى الرغم من الهدوء الذي يسود ليبيا في الوقت الراهن بعد انسحاب الجيش من محيط طرابلس وبعض المناطق، ونجاح الأمم المتحدة والدول الداعمة للحل السياسي في تقريب وجهات النظر الليبية على أكثر من صعيد وملف، باتت التساؤلات حول الأنشطة التركية في ليبيا أكثر إلحاحاً للحصول على إجابات حول مصيرها. ويقول تزياراس والحرشاوي، في نبرة يلفها الشك، إنه "لم يُعرف بعد ما إذا سبّغت عملية أنقرة المستمرة في ليبيا أنها مستدامة أو حتى مفيدة للمصالح الوطنية التركية، لكن بالنظر إلى ميول أردوغان التحريفية تبدو المخاطر كبيرة". وتقع معظم احتياطات ليبيا من الهيدروكربونات ضمن مناطق سيطرة الجيش الليبي بقيادة حفتر، ولا يعرف كيف يمكن لتركيا ضمان الجدوى

الصادرة البرية والبحرية في قبرص واليونان، وتمارس الهندسة الديموغرافية والتدخل السياسي في سوريا وشمال قبرص، ولها قواعد في الصومال وقطر، وتتسغل الوكلاء التابعين لها في ليبيا وشمال سوريا وقرّة باغ".

ويرى الباحثان أن هذه التدخلات "تأتي في النهاية بنتائج عكسية في تعزيز مكانة تركيا في مواجهة الحلفاء السابقين، لكنها ضمن مسار انتقالي مستوحى من سياسة أنقرة الخارجية الحالية، مع النسخة التجارية التركية الخاصة بالإسلام السياسي".

ويلعب ملف العضوية التركية في الاتحاد الأوروبي محركاً إضافياً في خطط أردوغان، وينظر نظامه إلى معاهدة لوزان لسنة 1923، التي أسست الجمهورية التركية ورسمت حدودها الحديثة، على أنها "لعنة وتنازل لم يكن على تركيا أن توافق عليه أبداً".

وتأسف نخب حزب العدالة والتنمية على التنازل عن مناطق في شمال سوريا وشمال العراق بموجب المعاهدة، وادعى القوميون الأتراك أنها كانت في ميقاتهم الوطني سنة 1920.

وعلى الرغم من أن مؤسس تركيا الحديثة مصطفى كمال أتاتورك صور معاهدة لوزان على أنها انتصار تاريخي، يراه أردوغان وأتباعه على أن أي شيء أسفر عن إلغاء الخلافة والسلطنة "خيانة"، خاصة عندما يتبعه مشروع علمنة، ولهذا السبب يرى الرئيس التركي أن مراجعة معاهدة لوزان أساس لطموحاته السياسية، وربما هذا الأمر يفسر طريقة التدخلات التركية الخارجية المثيرة للاستفزازات في مناطق مختلفة من العالم.

يعتبر الباحثان أن الحكومة الكمالية "لم تكن لتفكر في مثل هذه المغامرات المليئة بالمخاطر، حيث كانت السياسة الخارجية الكمالية في معظمها تنقسم بالخوف من خسارة الأراضي وليس كسبها".

تركيا تنظر إلى البحر المتوسط على أنه نقطة انطلاق لاكتساب المزيد من النفوذ في المغرب العربي والساحل وغرب أفريقيا

الخارجية في بؤر التوتر نافذة إضافية لإحياء طموحات الزعامة الإقليمية والدولية، لرجل جعل الداخل التركي يتجه أكثر نحو نظام سياسي قائم على الدكتاتورية والحكم الأمني.

### أبعد من شرق المتوسط

سارع الرئيس التركي إلى الرد على منتدى غاز شرق المتوسط بعقد اتفاق مثير للجدل مع حكومة الوفاق الليبية برئاسة فايز السراج للاستحواذ على مناطق بحرية يعتقد أنها غنية بالغاز ومصادر الطاقة الأخرى. وعمل على نشر جنود ومستشارين عسكريين أترك في البلد الغني بالنفط بحجة دعم تلك الحكومة ضد هجوم بقوده الجيش الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر.

بدأ التدخل التركي في ليبيا عبر نشر المرتزقة والجنود الأتراك، أكثر من مجرد مساعدة ميليشيات حكومة الوفاق، إلى أبعد من ذلك بالتدخل للاستيلاء على مناطق النفط والغاز، ووضع نقطة انطلاق نحو تعزيز الحضور التركي والنفوذ في شمال أفريقيا.

ويضيف الباحثان بالقول إن "التدخلات الخارجية جعلت تركيا دولة رجعية تسعى للسيطرة على أراضٍ أجنبية في سوريا والعراق، وتتحدى

وتستخدم أنقرة سياسة إرسال سفن التنقيب إلى شرق المتوسط في محاولة للضغط على القوى الغربية في صراعها على النفوذ، وتنتشر تركيا بكثرة على صعيد بعث تهديدات مباشرة وغير مباشرة بهدف تثبيت أقدامها في المناطق التي أرسلت إليها قوات وسفنا أو تعمل على ذلك.

ولم تعد تركيا ذلك النموذج الذي يحتذى به تحت سلطة الرئيس أردوغان، بعد أن غيّر الكثير في الداخل التركي لصالح حزبه ونظامه وعزز من بسط نفوذه في كل مكان، مستفيداً من التغييرات الخارجية التي غضت الطرف عن السياسات القمعية في الداخل.

ويقول تزياراس والحرشاوي في تقريرهما إن "أجندة أردوغان تشمل أكثر من مجرد الدفاع والبقاء، وأن هدفه النهائي يكمن في تغيير الوضع الجيوسياسي الحالي بطرق يعتقد أنها تفيد تركيا".

وجعل أردوغان من التدخلات

لا يقف نظام الرئيس التركي رجب طيب أردوغان عند حدود بحرية وبرية واحدة لتحقيق غاياته وإقامة حلمه الأبدي باستعادة أمجاد الإمبراطورية العثمانية. وسائله تتمثل في الغزو العسكري والسياسي والثقافي، وأدواته تتجاوز إرسال سفن تنقيب عن الغاز ومصادر الطاقة الأخرى في شرق المتوسط. فما هي أهدافه الحقيقية؟

أنقرة - لم تعثر سفن التنقيب التي أرسلها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على مواد هيدروكربونية قبالة ليبيا واليونان حتى الآن، في وقت جعل فيه أردوغان مغامرات تركيا بلا هوادة في محيطها القريب والبعيد، وحول سياسة بلاده الخارجية الحذرة في السابق إلى أكثر عدوانية حاضراً.

بحرك أردوغان قواته وسفنه وجيشه وأدواته في الخارج لتحقيق غايات وأهداف أعلن عنها سابقاً، جعل من مصطلحات "الجغرافيا في قلوبنا" و"حدودنا الروحية" المحرك الأساسي لتبرير تدخلاته في أوروبا الشرقية والشرق الأوسط وآسيا الوسطى، وغرس تلك النزعة الانتقامية التاريخية في خطاباته منذ سنوات.

ولا تبدو أن دبلوماسية البوارج الحربية وسفن التنقيب قد نجحت في قلب المعادلة في شرق المتوسط على الرغم من محاولات الرئيس التركي الإيحاء بأنه الممسك بخيوط اللعبة، لكنه بدأ الخاسر الرقم واحد في ضوء خلافاته المتفاقمة مع الجميع، والتحالفات القوية بين دول المتوسط للاستفادة من مصادر الطاقة والغاز الوفيرة في تلك المنطقة.

وتستخدم أنقرة سياسة إرسال سفن التنقيب إلى شرق المتوسط في محاولة للضغط على القوى الغربية في صراعها على النفوذ، وتنتشر تركيا بكثرة على صعيد بعث تهديدات مباشرة وغير مباشرة بهدف تثبيت أقدامها في المناطق التي أرسلت إليها قوات وسفنا أو تعمل على ذلك.

ولم تعد تركيا ذلك النموذج الذي يحتذى به تحت سلطة الرئيس أردوغان، بعد أن غيّر الكثير في الداخل التركي لصالح حزبه ونظامه وعزز من بسط نفوذه في كل مكان، مستفيداً من التغييرات الخارجية التي غضت الطرف عن السياسات القمعية في الداخل.

ويقول تزياراس والحرشاوي في تقريرهما إن "أجندة أردوغان تشمل أكثر من مجرد الدفاع والبقاء، وأن هدفه النهائي يكمن في تغيير الوضع الجيوسياسي الحالي بطرق يعتقد أنها تفيد تركيا".

وجعل أردوغان من التدخلات

أجندة أردوغان تشمل أكثر من مجرد الدفاع والبقاء، وهدفه النهائي يكمن في تغيير الوضع الجيوسياسي الحالي

لكن ماذا يريد أردوغان من شرق المتوسط؟ هل فعلاً المسألة لا تتجاوز البحث عن مصادر الطاقة والتنافس مع دول متوسطة؟ أم أن هناك خلفاً سياسية وأطماعاً تاريخية تجتاز تلك المنطقة لتصل إلى ما أبعد من ذلك، وماذا عن تدخله العسكري في ليبيا؟

يقول الباحثان والمحللان السياسيان زينوئاس تزياراس وجليل الحرشاوي، في تقرير نشرته مجلة "فورين بوليسي" الأميركية، إن "الأزمة في شرق المتوسط لا تتعلق في المقام الأول بالغاز الطبيعي بل بقضايا السيادة التي تعود إلى عقود من الزمن والتي أصبحت متشعبة بمزيج من الطموحات الجيوسياسية القديمة والجديدة".

ويرى الباحثان، أن "تركيا تنظر إلى البحر على أنه نقطة انطلاق لاكتساب المزيد من النفوذ في المغرب العربي والساحل وغرب أفريقيا"، مشيرين في الوقت ذاته إلى أن الهوية والأيديولوجيا تحركان الأحلام التركية أيضاً. واشتدّت سفن المسح الزلزالي والبحرية التركية مراراً مع السلطات